مات محمد بن الحجاج غداة يوم جمعة وفى العشى أتاه نعى أخيه محمد باليمن : فشمت العراقيون وقالوا انقطع ظهر الحجاج وهيض جناحه فخطبهم قائلا : —

« أيها الناس : محمدان فى يوم واحد ! أما والله ما كنت أحب أنهما معى فى الحياة الدنيا لما أرجوه لهما من ثواب الله فى الآخرة . وأيم الله ليوشكن الباقى منى ومنكم أن يفنى ، والجديد أن يبلى ، والحى منكم ومنى أن يموت وأن تدال الأرض منا كما أدلنا منها فتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها ثم نكون كما قال الله تعالى « ونفخ فى الصور فاذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون » ثم تمثل بالبيتين :

عزائى رسول الله من كل ميت ... وحسبى ثواب الله من كل هالك
إذا مالقيت الله عنى راضيـــا ... فان سرور النفس فيما هنالك

الكتابة

أحيانا نترجم عما يجول فى خلدنا بنقوش خطية لبعد الشقة بيننا وبين غيرنا أو لتسجيل المنقوش كى يكون تراث السلف للخلف وهذا مايسمى « بالكتابة » أما كيف كانت تلك النقوش على اختلاف أوضاعها وأطوارها فليس ذلك من « برنامجنا » ، ولا مما يعنى الادباء أن يعرفوا كيف كانت « الكتابة الخطية » وإنما الذى يعنيهم . أن يعرفوا كيف كانت صناعة انشاء الكتب والرسائل أى « الكتابة الانشائية »

وهى أنواع (١) كتابة التدوين والتأليف (٢) كتابة الدواوين وأعمال السلطان (٣) كتابة إنشاء الرسائل

(١) كتابة التدوين والتأليف : ليست الكتابة بهذا المعنى معروفة هناك، إذ لم يدون فى زمن النبى عليه السلام، ولا فى زمن خلفائه الاربعة شىء إذا استثنينا أمر كتابة المصحف على ما كان من تحرج فيه وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده خشية أن يعتمد الناس على المكتوب فيهملوا الحفظ فيعرضوا القرآن والحديث إلى الضياع وهما كل شىء فى الدين . وقد علمت فيما سبق شيئا من اختلاط العرب بالعجم بعد كثرة الفتوح مما أدى إلى اللحن من جهة فوضعت مبادىء النحو، ومما أدى إلى اختلاف الآراء فى تقدير مصالح المسلمين من جهة أخرى، فنشأت الفتن والأحداث المذهبية، وخيف اعتماد كل حزب على مأثور رؤسائه لذا دون الحديث زمن عمر بن عبد العزيز، ولا سيما حين دس أهل الكيد أحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما غيره كالتفسير والفقه والكلام، وعلوم الرياضة، والفنون الكونية فما عرف منها فى هذا العصر لا يستحق أن نبنى عليه حكما يقضى بأن نسمى هذا العصر عصر تدوين وتأليف، وإن صح لنا أن نجعله عصر تهيؤ واستعداد للنهضة العلمية التى ظهرت فى العصر العباسى .

(٢) الكتابة الديوانية : أول من وضع الديوان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاحتياج الخلافة إلى استخدامه إثر كثرة الجيوش ومغانم الفتوح

وما أفاء الله على المسلمين فى انتصاراتهم ، فاتخذ عمر لذلك صحفا ، قام بأمرها بعض عماله ، وقد وضع لهم دستورا يسيرون عليه فى أعمالهم فقال « إن القوة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم إلى غد فأنتم إذا فعلتم ذلك تداءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدأون ، وأيها تؤخرون » وسار الخلفاء من بعده على نهجه حتى جاء معاوية فزاد ديوان الخراج ، وديوان الخاتم ، وديوان الرسائل . إلا أن أهل كل إقليم كانوا يكتبون بلغتهم فى ديوان الخراج كالفارسية فى العراق وفارس ، والرومية فى الشام والقبطية فى مصر ، حتى نبغ من كتاب العرب من حذق هذه الصناعة فنقلت الكتابة إلى العربية فى عصر عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وأخذت فى السعة والتقدم المطرد حتى وصلت إلى النظام المتقن الذى عرف فى العصر العباسى

(٣) كتابة الرسائل الانشائية: بقدر ما للأمة من حضارة وتمدين وسعة فى مرافق الحياة العامة يكون نصيبها من الكتابة ، وخطها من الانشاء الفنى ، وأنت واجد شيئا من ذلك فى جنوب الجزيرة العربية ممن ثبتت لهم الحضارة فى الجاهلية كذلك بقدر حظ الأمم من البداوة ، وغضاضة العيش تجد هذا النوع من الكتابة والانشاء ضيقا محدودا ، فجمهور العرب قبل الاسلام ولا سيما سكان الشمال من الحجازيين كانوا أميين فلما جاء الاسلام وعظم من شأن القلم فى أول سورة نزلت من القرآن كان ذلك حافزا النفوس على التطلع اليها وتعلمها وكان قد ألم بها قوم من أم القرى علمها بعض من أسلم منهم وهاجر : إلى الأنصار بالمدينة وفيها

يومئذ عدد من اليهود كانوا يحسنونها أيضا ، وبجانب هذا قد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلمها غب انتصاره على قريش يوم بدر ، وفى الاسرى من يعرفها ، ففادى الكاتب منهم بتعليمه عشرة من أطفال المسلمين ، ثم اتسع نطاقها يوم ان اجتمع شمل المؤمنين بعد فتح مكة ، فلم يكد يكمل نزول القرآن حتى كمل للنبى صلى الله عليه وسلم أكثر من أربعين كاتبا يكتبون الوحى والرسائل الى الملوك والاقيال والعهود لمن دخل من القبائل فى الاسلام ، أو صالح فى حرب ، وكذلك كان الخلفاء والصحابة والنابهون من العرب لهم كتاب من خاصتهم يكتبون مايملون عليهم من أشباه تلك الرسائل والكتب والعهود ، ولو لم يخطوا بأيمانهم ، حتى إذا اتسعت الفتوح الاسلامية وترامت أطراف الدولة ، وغصت قصور الخلفاء بالاعمال الكثيرة . عهد بها الى الأفذاذ من محسنيها ومجوديها فكان ذلك داعية من دواعى الاقبال عليها ، وحذقها ، والتأنق فى أساليبها ، وتخير ألفاظها ، والانتحاء بها منحى يتأثر باسلوب القرآن الكريم ، وأدرك منزلتها المتعربون من موالى الفرس والروم فتهافتوا عليها تقربا إلى العرب بعد أن انكبوا على الأدب العربى تحصيلا ، وعلى القرآن حفظا واقتباسا ، ومحاكاة . مضيفين إلى ذلك ماحليته نفوسهم من أفانين الاداء عند الروم والفرس ، وبهذا صارت الكتابة حرفة الصناع الماهر ، واللبق الحاذق ، فعلت منزلتها ، وسمت مكانتها وممن فطن لذلك من أولئك الموالى المجودين للغتين فأكثر أبو العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك ، فوضع نظما ورسوما خاصة

للرسائل الانشائية وتخرج عليه فى الكتابه صهره عبد الحميد بن يحى الذى يعد بحق زعيم الكتاب ، وسنحدثك عنه عما قريب.

مميزات الكتابة الانشائية : يشعر الباحث فى كتب القوم فى هذا العصر ورسائلهم وعهودهم ومايصدر عن دواوينهم أو يرد اليها أن هناك فرقا فى الكتابة بين بدء الاسلام وآخر أيام الامويين ، ويمكنك الالمام بجمل هذه المميزات فيما يأتى : ـ

(ا) فى صدر الاسلام : (١) الايجاز وفخامة المعانى ، وجزالة الالفاظ (٢) الاقتصار على الضرورى مما يتفق ودولة ناشئة محدودة الاغراض والمقاصد . (٣) إلمام المعانى بالحقائق فى غير مبالغة ولا تهويل (٤) جودة الاساليب ورصانة العبارات ، لأنها كانت إلى الفطرة العربية اقرب منها الى الصناعة والتوليد والتأنق (٥) تأثرها بالقرآن الكريم (ألفاظا ومعانى وعبارات) تأثرا جرى معها فى معظم الشئون (٦) الاقتباس من آيات القرآن (٧) ابتكار التوقيعات التى صارت فنا فيما بعد ، وكان أول من أحدثها عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٨) تنويع صور البدء والختام بما غاير مأثور الجاهلية فى غير اتساع او افتنان (٩) مراعاة أحوال الخطاب إفرادا وتثنية وجمعا غالبا

(ب) فى العصر الاموى : (١) اتساع اغراضها تدريجيا حسبما جد من نعيم وحضارة (٢) غلبة الاسهاب والاطناب على الايجاز إلا اذا اقتضاه المقام ، فاستتبع ذلك ترادف الجمل واطالة التحميدات وتنويعها (٣) الافتنان فى أنواع البدء والختام عن ذى قبل وتميز صور العهود عن صور الفتوح

وكتب التهديد والوعيد عن رسائل البشارة والمنشورات العامة والرسائل الاخوانية (٤) العدول عما شاع فى الصدر الأول من مراعاة أحوال المخاطبين الى صيغ التعظيم فى الخطاب على نحو مافعله الوليد بن عبد الملك الذى لم يرض أن يخاطبه الناس بما يخاطب به عامة الأمة ، وقد جرى العمل على ذلك الى يومنا هذا إذا استثنينا عمر بن عبد العزيز ويزيد الناقص ، على أن بعض مميزات الصدر الاول بقى مع الكتابة حتى آخر عصر الامويين

نماذج من الكتابة :ـ

(١) كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى :ـ

«من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة : سلم أنت فانى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ؛ وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه ، كما خلق آدم من طين بيده ونفخه ؛ وأنى أدعوك إلى الله وحده لاشريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى . وإنى أدعوك وجنودك إلى الله تعالى فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى .»

(٢) عهد الصلح مع قريش عام الحديبية .

«هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن الناس فيه ، ويكف فيه بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير

إذن وليه رده عليهم . ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وإن بيننا عيبة مكفوفة . وانه لا إسلال ولا إغلال . وانه من أحب أن يدخل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه . ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدهم دخل فيه وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة فاذا كان عاما قابلا خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا وإن معك سلاح الراكب والسيوف فى الركب فلا تدخلها بغير هذا»

(٣) عهد أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :-

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ماعهد به أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، ساعة يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر ، إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذاك ظنى به ورأيى فيه . وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت لكم ولكل امرىء ما اكتسب من الاثم ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

(٤) كتاب أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ألى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم «سلام عليك فانا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد: فانا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت وقد وليت أمر هـذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس بين يديك الصديق والعـدو والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل فانظر كيف أنت ياعمر عنـد ذلك فانا نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه ، وتجب فيه القلوب. وإنا كنا نتحدث

أن هذه الأمة ترجع فى آخر زمانها أن يكون اخوان العلانية أعداء السريرة . وانا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا فانا انما كتبنا اليك نصيحة لك. والسلام»

(٥) كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء .

«بسم الله الرحمن الرحيم · من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن قيس . سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك ، فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس فى وجهك وعدلك ، ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا اصلاحا أحل حراما ، أوحرم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت نفسك ، وهديت فيه لرشدك : ان ترجع إلى الحق فان الحق قديم . ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة . ثم اعرف الاشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهى اليه . فان أحضر بينة وإلا استحللت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى . والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب . فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان . اياك والقلق والضجر . والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند

الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام . »

(٦) - كتاب عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى على كرم الله وجهه « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه ، ولم يغلبك مثل مغلب فأقبل إلى صديقا كنت أو عدوا

فان كنت مأكولا فكن خير آكل   وإلا فأدركنى ولما أمزق

(٧) كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان . « أما بعد فان لوذان المعترضين بك وحلول الجانحين إلى المكث بساحتك واستلانتهم دمث أخلاقك وسعة عفوك كالعارض المبرق لأعدائه لا يعدم له شائما رجاء استمالة عفوك . وإذا لاذ أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على إضاعة الحقوق ، مع كل ضال والناس عبيد العصا هم على الشدة أشد استباقا منهم على اللين . ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله وفى استخراجه منه قطع لطمع غيره فليبعث به أمير المؤمنين ان رأى ذلك والسلام »

(٨) رد عبد الملك على الحجاج . «أما بعد فان أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا فى السياسة خبط عشواء الليل . فان رأيك

الذى يسول لك أن الناس عبيد العصا هو الذى أخرج رجالات العرب إلى الوثوب عليك . وإذا أخرجت العامة بعنف السياسة كان أوشك وثوبا عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعى ولاهداه اذا رجوا بذلك إدراك الثار منك . وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ أحمى أنوفا وأقرب من عمياء الجاهلية . وكانوا عليهم أصلح منهم عليك وللشدة واللين أهلون والأفراط فى العفو أفضل من الأفراط فى العقوبة والسلام »

(٩) كتب خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم يستنجد به فى بعض المواقع الحربية فقال : « من خالد بن الوليد إلى عياض . إياك أريد . »

وأنت ترى أن هذا أوجز كتاب عرف فى الأدب العربى . ومما يتصل بهذا النوع من الايجاز ما يسمى « بالتوقيعات » وأول توقيع عرف فى الاسلام كان من عمر بن الخطاب إذ كتب إليه سعد بن أبى وقاص فى بنيان يبنيه فوقع « ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر » ووقع أيضا إلى عمرو بن العاص « كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك » ووقع على بن أبى طالب إلى طلحة بن عبيدالله (فى بيته يؤتى الحكم) ووقع معاوية فى كتاب أرسله اليه ربيعة بن عسل اليربوعى يسأله أن يعينه فى بناء داره بالبصرة باثنى عشر ألف جذع (أدارك فى البصرة أم البصرة فى دارك ؟) ووقع الحجاج فى كتاب ابن الأشعث :

« فما بال من أسعى لأجبر عظمه   حفاظا وينوى من سفاهته كسرى »

عبد الحميد الكاتب

كان الأمويون شديدى التعصب لكل شئ عربى ، وكانت نظرتهم إلى الموالى — وهم سبيهم — نظرة شزراء لا يسرحونهم فى مرافق الدولة إلا بقدر ، بل لم يسمحوا لأنفسهم ان يصاهروهم أو يصهروا اليهم ازدراء لهم وتحقيرا لشأنهم رغم كونهم أخلاطا من الأمم المتمدينة ومزيجا من الطبقات المتحضرة . لأممهم نظم فائقة ، وحضارات موروثة وصناعات رائجة موفورة ، وفيهم صبر عجيب على محدثات الامور وتقلبات الشئون .

بصر هؤلاء الموالى بما يحيط بهم من خنوع ، ورق ، وفراغ عن العمل فحاولوا تحرير أنفسهم جهد الطاقة ، ورأوا كيف كانت استكانة المسود للسيد فعملوا على تبديل ذلهم عزا . ثم أدركوا أن ليس شئ أرفع لشأن الرجل من النبوغ فى علم ، أو التبصر فى أدب ، أو النظر فى دين فانكبوا على القرآن حفظا وعلى اللغة تعلما ، وعلى الادب ممارسة وتحصيلا ، حتى إذا أثمر نتاجهم مزجوه بفضل ما ورثوه عن أممهم من نظم وحضارة فكانوا للناس كما أحبوا لأنفسهم أن يكونوا

وهذا نابغتهم عبد الحميد بن يحى بن سعيد العامرى ولاء ، الشامى موطنا يرسل لعاب قامه كما يشاء فى افتنان وابتكار .

نشأته : نشأ عبد الحميد أخريات الدولة الأموية حافظا للقرآن ، يتنقل فى البلدان ، يعلم الصبيان ، يسدعوزه بما يتكسب من أدب . ولقد

كان لتخرجه على يدى ختنه سالم مولى هشام منشئ الكتابة الفنية أثر عظيم فى تبريزه فى فن الكتابة وما يتبعها من وسائل حتى كان أعجوبة زمنه كتب الى مروان بن محمد مدة ولايته لأرمينية فكان عينه التى يبصر بها. ولما بايعه الشاميون بالخلافة سجد لله شكرا وسجد أصحابه معه خلا عبد الحميد. فلما سأله فى ذلك قال: «ولم أسجد؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا؟» فقال له مروان: إذا تطير معى. فأجاب عبد الحميد: الآن طاب لى السجود فسجد. وأصبح كاتب الدولة بعد أن كان كاتب ولاية. بيد أن شيخ الكتاب لم يدر أنه منذ هذا الحين سيستقبل مع ولى نعمته الخليفة الجديد أحداثا جديدة اهتزت لها الامصار فارتجت الشام على مروان، وطمع فيه الشيعة، وانقض عليه أهل حمص وفلسطين، واستولى الخوارج على الكوفة، واستعرت نيران الفتن فى خراسان وتألب بعض الأمويين على بعض، فانفرط عقدهم، وتمزقت وحدتهم، ومروان بين ذلك يصلاها نارا حامية لا يدرى من أى النواحى يصد سعيرها حتى كل واستسلم للمقادير فى منتصف سنة ١٣٢ فهرب بعد جلاد عجيب وكفاح أعجب. وعبد الحميد لم يفتر عنه طرفة عين أثناء تلك المعامع والخطوب الشداد، ولم يأل جهدا فى إسعاده بعقله وقامه ووفائه حتى لقد أشفق عليه مروان يوم أن آنس الشر من قبل جيوش آل خراسان فأشار عليه أن ينحاز إلى الأعداء معلنا الغدر به عله ينجو مما يلاقيه، فان استطاع نفعه حيا، والا حفظ له حرمه بعد وفاته.

بيد أن وفاء عبد الحميد البالغ وحفظه لسابقات الأيادى أبيا عليه ذلك

وقال له « ان الذى أشرت به على أنفع الامرين لك وأقبحهما لى ، وما عندى الا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك » ثم أنشد :

أسر وفاء ثم أظهر غدرة ! فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

وبقى عبد الحميد بعد مقتل مروان شريدا طريدا حتى عثر عليه عند صديقه ابن المقفع فقتله السفاح سنة ١٣٢ هجرية أيضا

منزلة عبدالحميدوآثاره فى الكتابة: لعبدالحميد يد طولى على الكتابة فقد أبدع فى إنشاء الرسائل وتنويع بدئها وختمها حتى جعل (للعهود) افتتاحامغايرا الافتتاح (التولية) مثلا (وللأخوانيات) بدء يمتازعن بدء (الديوانيات) كماجعل ختم الرسائل يختلف باختلاف أغراضهاوموضوعاتها فلا يختم رسائل العهود بما يختم به رسائل (المنشورات) ولا رسائل (التعزية والأشواق) بمثل مايختم به (المشارطات) كذلك هو أول من أطال التحميدات فى موضع ونوعها أو كررها فى موضع، وهو أول من أسهب فى الرسائل السلطانية والاخوانية. ولقدابتكر طرقا فى التحميدات لم تكن مألوفة لأحد قبله وقالوا إنه هو الذى أحدث تعقيب البسملة بالحمدلة مفصولا بينهما بأما بعد. ثم تمتاز كتابته جملة بالاعتراض بين الجمل. وطول النفس فيهاوالبعد فى الربط بينها . ومن أظهر ماتمتازبه أيضا كتابته الاطناب فيما ينبغى الاطناب فيه مع إشباع الرسالة بالجمل المحكمة المتناسبة المتلائمة المتآلفة المترادفة كانه يبنى ثانية على أولة وثالثة على ثانية حتى كأنك تجد الآخرة تمت إلى الأولى بنسب وتتصل اليها بسبب . وأنت فى كل ذلك ترى الغرض رأى العين أو تامسه بكلتا اليدين

فكأن كتابته السحر خلابة أو الخمر تفسد التدبير على عقل من يحتوها.

قيل إنه كتب لأبى مسلم الخراسانى كتابا على لسان مروان لو قرأه ذلك الغلاب لبطل تدبيره ولكنه كان داهية ماكرا ساعة إذ وصله فقد أحرقه وكتب على جذاذه منه إلى مروان :—

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى   عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولم تكن بلاغته فى إيجازه بأقل منها فى أطنابه: جزالة لفظ، وفخامة معنى، وأصابة غرض، وإقناع لمن يكتب إليه: وفى الحق أن عبد الحميد هو الذى غرس أشجار الكتابة بمعونة أستاذه وتعهدها بيده حتى جنى الكتاب من بعده ثمارها وتفيئوا اظلالها. وكتابته تمثل بحق الكتابة الفنية بالمعنى من هذه الكلمة حتى كانت المهيع لمن جاء بعده وصح أن يقال. «بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد»:

من كل معنى يكاد الميت يفهمه   حسنا ويعبده القرطاس والقلم

نماذج من كتابته :

(١) كتب رسالة على لسان مروان إلى ولى العهد عبد الله بن مروان حينما وجهه إلى محاربة الضحاك رأس خوارج الجزيرة نصوا على أن هذه الرسالة بلغت ٢٥ صفحة فى كل صفحة نحو ٢٥ سطرا فهى تربى على ٦٠٠ سطر قال فى أولها :

«أما بعد. فان أمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك الى عدو الله الجلف الجافى الاعرابى المتسكع فى حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوى الهلكة ورعاعه الذين عاثوا فى الأرض فسادا، وانتهكوا حرمه

استخفافا . وبدلوا نعم الله كفرا . واستحلوا دماء أهل سامه جهلا : أحب أن يعهد إليك فى لطائف أمورك . وعوام شئونك — الى أن قال — أن تملك أمورك بالقصد . وتصون سرك بالكتمان . وتدارى جندك بالانصاف وتذلل نفسك للعدل . وتحصن عيوبك بتقويم أودك وأناتك فوقها الملال وفوت العمل . وحصاتك فدرعها روية النظر . واكتنفها بأناة الحلم . وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة . وصمتك فانف عنه عى اللفظ . وخف فيه سوء القالة ، واستماعك فأرعه حسن التفهم وقوه باشهاد الفكر . وعطاءك فاختر له بيوتات الشرف وذوى الحسب . وتحرز فيه من السرف الخ ، وهى تعتبر أطول رسائله

(٢) تحميده فى فتح : «الحمد لله العلى مكانه ، المنير برهانه العزيز سلطانه ، الثابتة كلماته ، الشافية آياته ، النافذ قضاؤه ، الصادق وعده ، الذى قدر على خلقه بملكه ، وعز فى سماواته بعظمته ، ودبر الأمور بعلمه ، وقدرها بحكمه ، على مايشاء من عزمه مبتدعا لها بافشائه اياها وقدرته عليها واستصغاره عظيمها ، نافذة إرادته فيها ، لا تجرى إلا على تقديره ، ولا تنتهى إلا إلى تأجيله ، ولا تقع إلا على سبق من حتمه كل ذلك بلطفه وقدرته وتصريف وحيه ، لا معدل له عنها ، ولا سبيل لها غيره ، ولا علم أحد بخفاياها ومعادها إلا هو ، فانه يقول فى كتابه الصادق (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو)

(٣) وكتب إلى الكتاب رسالة جاء فيها : — «فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب ، وتفهموا فى الدين ، وابدءوا بعلم كتاب

الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ، فانها ثقاف ألسنتكم . ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ماتسمو إليه هممكم . لاتضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها ، وسفساف الأمور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب . مفسدة للكتاب ، ونزهوا صناعتكم عن الدنايا واربئوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة ومافيه أهل الجهالات »

(٤) ومن إيجازه إلى أحد عمال مروان وقد أهدى إلى الخليفة عبدا أسود فكتب إليه ذاما : « لو وجدت لونا شرا من السواد ، وعددا أقل من الواحد لأهديته »

(٥) وكتب فى وصاة لشخص « حق موصل كتابى إليك كحقه على ، اذ جعلك موضعا لأمله ، ورآنى أهلا لحاجته ، وقد انجزت حاجته فصدق أمله »

(٦) وكتب الى أهله وهو منهزم مع مروان :

« أما بعد . فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالمكاره والشرور ، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها وشكاها مستزيدا لها . وقد أذاقتنا أفاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا مولية ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الأوطان وفرقتنا عن الاخوان ؛ فالدار نازحة ، والطير بارحة الخ .

الشعر والشعراء

(١) هدوء الشعر عند ظهور الاسلام وأسبابه : —

الشعر فن من الكلام الأدبى يعبر عن جوانب الحياة الطليقة من قيود الحقائق المحدودة ، ووحى العاطفة الجياشة بشتى الأحاسيس التى يوقظها التأمل فى مظاهر الوجود وترجمان الخيال المصور لأشجان النفس وأفراحها ، وحبها وبغضها ، وإيمانها ، وإلحادها ، ووقارها وطيشها ، ورسول القلوب يستلهمها سر الطبيعة وجمالها فتنفثه على عذبات الألسن ترنيمات موسيقية عذبة فى لغة مهذبة وأسلوب جميل على مقاطع تتزن فى نغمها وروى ترتاح عنده النفس إذا بلغت الغاية من الترجيع .

أغرم به العرب فكان صحيفة مفاخرهم ، وسجل مناقبهم ، وحافظ تاريخهم ، ومقيد شواردهم ، وديوان علومهم وأخبارهم ، وأصلا يرجعون اليه فى الكثير من علومهم وحكمهم ، وحوادث أيامهم ، وكانت ملكته مستحكمة فيهم ، به يفتخرن ، وبصاحبه يعتزون ، حتى كانت القبيلة منهم إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنع فى الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكرهم ، فاستولى الشعر على مشاعرهم ، وعظم فى نفوسهم وفاقت مكانته عندهم النثر بأنواعه : خطبه ومحاوراته ووصاياه وأحاديثه لما فى

لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم فاستولى الشعر على مشاعرهم وعظم فى نفوسهم وفاقت مكانته عندهم النثر بأنواعه، خطبه ومحاوراته، ووصاياه وأحاديثه، لما فى الشعر من ضبط بالوزن والروى، يزيده حلاوة فى الاسماع ماله من توقيع موسيقى ينشأ من تفاعيله، وما فيه من بارع التصوير الخيالى الذى يخلع على الحقائق ثوبا من البهجة تهش اليها النفوس، وتشتاقها القلوب فتقع معانيه منها موقع اللذة والامتاع، أما النثر فانه قالب الحقائق الفكرية أو المحسة فى صورتها التى لا يدخلها لون الخيال غالبا مع خلوه من خصيصة الوزن والتقفية وما يرى من الأخيلة اللطيفة أو الاسجاع المتسقة فى أوزانها وقوافيها فى بعض أنواع النثر كفن المقامات وما يجرى مجراها من النثر الخيالى المسجوع، فانما هو تقليد للروح الشعرى فى بعض خصائصه ولا يبلغ أن يكون كالشعر فى حسن انسجامه وتآلف نغمه، ولطف موقعه من النفس، ومن أجل تلك الخصائص الشعرية فى هذا النوع من النثر يسميه بعض الأدباء «شعرا منثورا» أو «نثرا شعريا» ومن ثم رأى بعض الباحثين: أن الشعر فى حقيقته المطلقة لا يتقيد بالوزن والتقفية، وانما هو كلام يحفه الخيال من جوانبه، ويزيده الوزن والتقفية حلاوة فى الاسماع وحسن وقع فى النفوس، غير أن العرب لمزيد عنايتهم بالشعر وسمو منزلته فى قلوبهم ميزوه بسمة الجمال والحلاوة وجعلوها فصل ما بينه وبين النثر، قال العلامة ابن خلدون «الشعر هو

الـكلام البليغ المبنى على الاستعارة والاوصاف المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى » وكأنه يعنى بالبناء على الاستعارة والأوصاف ماذكرناه لك من لطف الخيال.

عاش العرب قبل الاسلام فى باديتهم المترامية الأطراف الخلية من مظاهر الحياة الصاخبة ، يرون الطبيعة قد تكشفت لهم فى أبهى حللها فالسماء بنجومها المتألقة ، وقمرها الزاهر ، وشمسها الباهرة ، والأرض بجبالها الشماء ووديانها وهضابها ، ورمالها ونباتها وأشجارها وحيوانها آيات من جمال الطبيعة تأخذ من النفس موضع إعجابها ؛ وليس لهم من الاعمال العظيمة فى شؤون الحياة مايشغلهم عن التأمل فى هذا الجمال الذى يصبحون فيه ويمسون ، فتجيش الشاعرية فيهم وتفيض على حواسهم بصور تتفق وما لهم من أغراض محدودة ببيئتهم ، فمدحوا وهجوا وتشببوا ، ووصفوا ، ورثوا ، واستعطفوا واعتذروا وتفاخروا ، وقالوا فى جميع مايسمى (بالشعر الغنائى) وهو الذى يتحدث عن النفس وتظهر فيه غالبا شخصية الشاعر ؛ وهذا وصف استحدثه البحث الحديث فى مقابل الشعر القصصى ، والتمثيلى مما يدور حول قصة خياليـة أو حقيقيـة يصورها الشاعر ليعرضها فى أشخاص أبطالها ، أو ليحكيها كما تصورها شاعريته ؛ وهم يقولون : إن الشعر العربى لا يعدو الشعر الغنائى ، وليس عند العرب شعر قصصى ، ولا شعر تمثيلى ، ولكننا نرى أن هذا القول يجاوز الحقيقة بالنظر الى الشعر القصصى ؛ فان للعرب منه شعرا كثيرا يتفق وبيئاتهم وتفكيرهم ، وأنت تستطيع

أن تدرك هذا فى الشعر الجاهلى عند امرىء القيس ولبيد ، والحطيئة ، وفى الشعر الاسلامى عند الغزليين كجميل بن معمر صاحب بثينة وكثير عزة ، ونصيب ، والعرجى ، وأما أميرهم عمر بن أبى ربيعة فعن البحر حدث ولا حرج فى هذا المقام كما ستراه فى التعريف به والحديث عن شعره ومنهجه .

نعم إن الكثرة من الشعر العربى أميل الى جانب الشعر الغنائى ، لما فى طبيعة العربى من الاعتزاز بالنفس ، فهو يحاول فى مواقفه أن يظهر شخصيته ولا يرضى أن يمحوها ليحدثك عن غيره فى قصة أو تمثيل ، وحسب الشعر العربى أنه فيما يسموه «بالشعر» الغنائى جمع ثروة لم تكن لأمة غير العرب .

جاء الاسلام باحداثه الخطيرة ، وانقلابه الغامر ، وتعاليمه الفاضلة ، وآدابه الكاملة ، وتشريعاته السياسية والاجتماعية ، والعرب يومئذ يحيون — كما عرفت — حياة صماء من العلوم والمعارف ، ليس لديهم فنا أجل من الشعر فى أغراضه الضيقة ، يرى أحدهم أنه إذا مدح عظيما بأبيات من الشعر فكأنما قلده عقدا من الدر النضيد ، فهذا الأعشى يزهى على زعيم من زعماء العرب فى الجاهليـة مدحه بقصيدة فلا يرضى إلا أن يسجل فيها منته عليه وهو يستجديه ويطلب معروفه فيقول :

ياخير من يركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا

قلدتك الشعر ياسلامة ذا التفضال والشعر حيثما جعلا

والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا

ففتح عليهم الاسلام أبواب الحياة ، ولكنهم تأبوا وعاندوا ، فتحداهم بكتاب كلماته من كلماتهم ، وألفاظه من ألفاظهم ، وأزرى بهذا التحدى على ماعندهم من بلاغة أشعارهم ، فدهشوا ، وتسمعوا الى مايتلى عليهم فسمعوا عجبا ، واهتزوا له طربا فأجاب قوم منهم ، وأعرض قوم ، وكبر على المعرضين أن ينهزم شعرهم وهو أعظم تراث أدبى لهم ، والقرآن لم يعبأ لاعراضهم ، بل سجل عليهم عجزهم الفاضح ، وراح يسفه أحلامهم وأحلام آبائهم ، ويعيب عقائدهم وعقائد أسلافهم ، فشرعوا الرماح ، وشاموا السيوف ليردوا المؤمنين عن دينهم ، ولينصروا أشعارهم على ذلك الكتاب المبين ، فأبى عليهم المؤمنون إلا سيفا بسيف أو دماء بدماء أو لسانا بلسان وانتصارا للحق ، وذيادا عن بلاغة القرآن الحكيم حتى تقرع الاسماع وتستقر فى القلوب .

يالله ، قرآن عربى أحكمت آياته ، ونفوس مؤمنة أحب شىء لديها الموت فى سبيل الدفاع عن عقيدتها ، شغل شاغل ، وطامة داهمة : فأين مجال الشعر ؟ وأين تقع أغراضه الجاهلية المرذولة فى كثير من نواحيها من هـذه الآداب السامية التى جاء بها الدين الجديد ؟ وما قيمة هـذا الأسلوب الشعرى الذى شغلوا به أوقات فراغهم أمام هذا الأسلوب الذى جرى فى شوط البلاغة حتى استولى على الأمد وماهم ببالغيه ولو اجتمعوا كلهم على لسان أفصح فصحائهم وما ينفع الاشتغال بالشعر ونظمه والحرب يستعر أوارها ، والرءوس تتطاير عن هاماتها لا ، لا ، ليس هذا أوان الشعر والتشبب بزينب والرباب ، ولاهو وقت مجالس الشراب

ووصف الخمور والاماء ، وحديث التفاخر بالميسر ووصف القداح ، ولا زمان المدائح الطنانة باكاذيب الأوصاف ؛ وإنما هو يوم الجد والحرب فالشجعان والابطال والفرسان إلى الميدان ، والشعراء والخطباء إلى الكلام يذودون عن تراثهم القديم فى اتجاه خاص هو الرد على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والنيل من الاسلام بأباطيل يختلقونها ؛ وانتهض المؤمنون لهم فكان الشجعان والأبطال والفرسان فى نحور أمثالهم ؛ وكان الشعراء والخطباء فى وجوه أندادهم ، ونصر الله المؤمنين ، وباء الكافرون بالخسران المبين : روى أن وفدا من بنى تميم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فيهم الزبرقان بن بدر ، وحاجب بن زرارة ؛ فقام خطيبهم فافتخر بمناقب لهم فى الجاهلية ، وقام شاعرهم « الزبرقان » فانشد على طريقة صاحبه فى التعاظم الجاهلى ؛ ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم « قيس بن شماس » خطيب المسلمين ليرد على خطيبهم ، فذكر الاسلام وفضائله ، ومنة الله عليهم بارساله رسولا من أنفسهم أخرجهم من الظلمات الى النور ثم أمر حسانا شاعر الاسلام ليرد على شاعرهم فأنشد قصيدته التى يقول فيها

إن الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة ... ان الخلائق — فاعلم — شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

فقال الوفد : والله إن خطيبهم لأخطب من خطيبنا ، وإن شاعرهم لأشعر من شاعرنا ، وإن أصواتهم لأرفع من أصواتنا ثم آمنوا جميعا هذا النحو من الشعر الذى كان بين المسلمين والمشركين من التهاجى هجوما ودفاعا ظل قائما قويا ، ولكن الرواية الاسلامية تنزهت عما فحش منه فلم تروه ، قطعا لأسباب الشقاق بين المسلمين الذين اجتمعوا جميعا تحت لواء واحد وعقيدة واحدة ، أما غير ذلك من الأغراض الشعرية فلم يكن لها عند ظهور الاسلام صولتها فى الجاهلية ، لأن الاسلام فى طبيعته حجزهم عن القول فى وصف الخمر والميسر ، ومنعهم من المدائح الزائفة والهجاء المقذع والمراثى النائحة ؛ وصرفهم إلى الجد والصدق ووصف الاسلام وشرائعه ، والنبى صلى الله عليه وسلم وخلائقه مع ما كان بين أيديهم من القرآن وأحاديث النبى عليه الصلاة والسلام اللذين كلما نظروا فيهما ورأوا بلاغتهما الساحرة استصغروا أنفسهم واستضعفوا أشعارهم فأبوا على أنفسهم أن تشتغل بها وقد بدلهم الله خيرا منها ، ثم ما كان من اشتغالهم بعبادة ربهم وتعلم العلم والتفقه فى الدين مما ملأ عليهم أوقاتهم بالعمل النافع كل ذلك كان من أسباب هدوء الشعر عند ظهور الاسلام . غير أن هناك فكرة شائعة فى كثير من الأذهان نحب أن نزيلها ، تلك هى أن الاسلام عمل على أضعاف الشعر ، وهى فكرة خاطئة احتجوا لها بآية من كتاب الله تعالى أخطأوا فى تأولها ، ولم يفهموها على وجهها قال ابن رشيق فى العمدة : «فأما احتجاج من لم يفهم وجه الكلام بقوله تعالى «والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون»

فهو غلط وسوء تاول ، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، ومسوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شىء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا » يريد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه »

كيف وقد استفاض عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يستمع إلى حسان ابن ثابت شاعره ويقول له : (اهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام ، اهجهم وروح القدس معك) واستمع الى كعب بن زهير بعد أن أهدر دمه فجاء تائبا وأنشد قصيدته (بانت سعاد) فرضى عنه وأثابه بردته ، واستمع الى النابغة الجعدى حين أنشده قصيدته التى يقول فيها

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (أين المظهر ياأبا ليلى) فقال: الجنة يارسول الله قال(أجل ان شاء الله) ثم انشده من هذه القصيدة

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم اذا ماأورد الأمر اصدرا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم (أجدت لا يفضض الله فاك). ويروى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايقول لى : أبياتك؟ فأقول :

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثنى عليك وان من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

وهذان البيتان لزهير بن جناب الشاعر الخطيب الجاهلى، وأم المؤمنين عائشة كانت تحفظ جميع شعر لبيد، ولقد كتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الأشعرى: مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالى الاخلاق وهذا على بن أبى طالب يقف عليه أعرابى فيقول له: إن لى اليك حاجة رفعتها الى الله قبل أن أرفعها اليك فان أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك، فقال على: خط حاجتك فى الارض فانى أرى أثر الضر عليك، فكتب الأعرابى على الأرض انى فقير، فقال على: ياقنبر! ادفع اليه حلتى الفلانية، فلما أخذها الأعرابى مثل بين يديه فقال:

كسوتنى حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا

لاتزهد الدهر فى عرف بدأت به فكل عبد سيجزى بالذى فعلا

فقال: على ياقنبر! اعطه خمسين دينارا، أما الحلة فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: انزلوا الناس منازلهم. وهذا عمر بن الخطاب يحبس الحطيئة لهجائه وتمزيقه الأعراض فيستعطفه الحطيئة بأبياته التى يقول فيها:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله ياعمر

فيطلقه عمر ويشترى منه أعراض المسلمين بعشرة آلاف درهم .

والحديث فى هذا الشأن طويل الذيول فلنكف القلم ، فان الاسلام ما كان ليقاوم الفن متى كان وسيلة من وسائل الفضيلة وكل ما أحدثه الاسلام أنه أبى على غواة الشعراء أن يهيموا فى أودية الضلالة يعمهون ، وفتح لهم أبواب الحياة الفاضلة فولجها منهم من اختاره الله لنصرة الفضيلة كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وسواهم من شعراء المسلمين المهذبين .

إلى هنا يمكن أن نجمل لك أسباب هدوء الشعر عند ظهور الاسلام بعد أن أعطيناك صورة واضحة له فى هذا الطور فيما يأتى

(١) القرآن الكريم فى فائق بلاغته وغريب أسلوبه ، جعلهم فى حيرة فكرية وعجز بلاغى ، يدركون وهم سادة الكلام ضعف أشعارهم ، وسخف أغراضها الى جانب عظمة أسلوب القرآن وسمو أغراضه .

(٢) محاربة الاسلام للأغراض المرذولة مما كان شائعا فى الجاهلية كوصف الخمر والميسر ، والمدح بالباطل والهجاء البذىء ، والتشبيب بالأجنبيات ، ورمى المحصنات الغافلات

(٣) تشاغل الناس بالخصومات المشتعلة بين الاسلام وأنصاره ، والشرك وجنوده .

(٤) انصراف المؤمنين إلى العبادة وحفظ القرآن ، وتعلم أحكامه والتفقه فى الدين .

(٥) الغزو فى سبيل الله والعمل على نشر الدعوة ، وتنظيم شئون المسلمين

(٦) التهيؤ لفهم الأغراض الجديدة والأفكار الحديثة وهضمها حتى تتجاوب مع سليقتهم فيواتيهم فيها الشعر رصينا بليغا .

(ب) انتعاش الشعر فى عصر بنى أمية وأسبابه : —

مضى عصر النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ولا يكاد يكون فى العرب مشرك ، بل اجتمعت كلمتهم على دين الاسلام ، واستقرت بهم الحياة حتى انتزع الخلافة بنو أمية من الهاشميين فعادت الخصومة بين العرب جذعة ولكنها كانت خصومة تختلف عن سابقتها ، لأنها خصومة سياسية فى ظل عقيدة واحدة ، وتحت راية واحدة هى عقيدة التوحيد وراية الاسلام ، وكان من الضرورى أن يكون لكل حزب شيعة وأنصار فافترقت الأمة فرقا وأنصارا ، وشيعا وأحزابا ، فالهاشميون ومعهم شيعتهم وقفوا فى جانب يناوئون الأمويين ويناهضونهم لأنهم غصبوا حقهم والأمويون ومعهم أنصارهم الطامعون فى ذهبهم وفضتهم وأقطاعهم وقفوا فى جانب آخر والخوارج الحانقون يرون كفر الطائفتين واستحلال أموالهم ونسائهم ودمائهم ، والزبيريون أتباع عبد الله بن الزبير خلعوا طاعة بنى أمية من أعناقهم وناصبوهم الحرب ، وكل فرقة من هذه الفرق تزعم أن الحق معها ولكنها فى حاجة الى استمالة الرأى العام لينصرها على خصومها وأنى لصوتها أن يبلغ آفاق المملكة الاسلامية فى أطرافها المترامية ؟ ولا صحافة ..